زروقي عبد القادر
جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ

المصطلح في النقد الروائي الجزائري
التمثل والتجاوز في فكر عبد الملك مرتاض

ملخص

عبد الملك مرتاض من النقاد الجزائريين القلائل الذين اهتموا بالمصطلح، ماهية ومفهوماً وتتبعاً ، فهو يرى في مفهوم المصطلح العربي ما يجعله مختلفا في بنيته المعرفية عما يتشكل به في منظومته الغربية حيث «أن مفهوم المصطلح في اللغة العربية لا يطابق مفهوم المصطلح في اللغات الأوروبية من حيث الاشتقاق والمعنى، ولكنه يطابقه من حيث الوظيفة والدلالة.

وهكذا يتكرسّ الاختلاف ابتداء عند عبد الملك مرتاض في تعامله مع المصطلح أولاً مع المصطلحات الغربية التي تفد عليه، وثانياً مع تلك التي كان يسكّها النقاد العرب حتى وإن شكلت بعضاً من الإجماع في الخطاب النقدي العربي. إنّ عبد الملك مرتاض كان ينحو باستعماله الاصطلاحي إلى المخالفة نظراً لاجتهاده ولما يراه من تغاير عنهم جميعاً في هذا الاستعمال أو ذاك.

نقف في هذه الدراسة على بعض من المصطلحات النقدية التي جسدت هذه الرؤية الانفرادية في التعامل مع المصطلح عند عبد الملك مرتاض في هذه الورقة الوجيزة .

Abstract

Abdelmalek Mortad is one of the few Algerian critics who have studied the concept in his nature and function. He

believes that in Arabic the concept is different in its cognitive structure from which is built in the western system of ideas.

Thus the difference being dedicated starting with Abdelmalek Mortad in his dealing with the concept first with the western terms that benefited him and secondly with his point of view. We will study some sample of concepts in critical theory of litterature that embodied this unilateral vision.

تفادياً لما يمكن أن يحدثه لنا التعدد التأليفي والتشعب المرجعي، لنقاد النص الروائي الجزائريين، من تيه وتشتت، ونحن ندبج هذه الورقة البحثية التي تسعى إلى تقصي حقيقة النقد الروائي الجزائري خاصة وتجنبه عوالق المصطلح النقدي الوافر، ومدى تمكنه من إحداث هوية جزائرية في الخطاب النقدي العربي المعاصر.

كان لزاماً علينا تحديد عينة الدراسة وأنموذج المقاربة، ولم يساورنا شك أو تردد في أن أقرب مثال لنا هو الدكتور عبد الملك مرتاض. نظراً لما قدمه عبر مساره العلمي من اجتهادات في وضع المصطلح النقدي، ومناقشته لما وُضع من طرف غيره من النقاد العرب، وقد كان التعويل في دراسة كثير من مقولات هذا الناقد على مدونة نقدية متميزة والتركيز عليها دون غيرها، وهي «إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد» للباحث يوسف وغليسي، بذا غدت هذه الورقة البحثية مقتفية أثر هذا الباحث في تتبع مقولات عبد الملك مرتاض الاصطلاحية.

قبل البدء يتعين علينا الإقرار بأن عبد الملك مرتاض من النقاد الجزائريين القلائل الذين اهتموا بالمصطلح، ماهية ومفهوماً وتتبعاً وسكاً، فهو يرى في مفهوم المصطلح العربي ما يجعله مختلفا في بنيته المعرفية عما يتشكل به في منظومته الغربية حيث «أن مفهوم المصطلح في اللغة العربية لا يطابق مفهوم المصطلح في اللغات

الأوروبية من حيث الاشتقاق والمعنى، ولكنه يطابقه من حيث الوظيفة والدلالة»[1].وهكذا يتكرّس الاختلاف ابتداء عند عبد الملك مرتاض في تعامله مع المصطلح أولاً مع المصطلحات الغربية التي تفد عليه، وثانياً مع تلك التي كان يسكّها النقاد العرب حتى وإن شكلت بعضاً من الإجماع في الخطاب النقدي العربي. إنّ عبد الملك مرتاض كان ينحو باستعماله الاصطلاحي إلى المخالفة نظراً لاجتهاده ولما يراه من تغاير عنهم جميعاً في هذا الاستعمال أو ذاك.

سنقف على بعض من المصطلحات النقدية التي جسدت هذه الرؤية الانفرادية في التعامل مع المصطلح عند عبد الملك مرتاض:

1 ـ مصطلح البنيوية:

بيّن عبد الملك مرتاض في كتابه «في نظرية النقد» الفرق بين مصطلح البنيوية (وهو الأكثر استعمالاً) والبنوية (وهو الأصح قياساً في نظر مرتاض) موضحاً أيهما أحق بالاستعمال، استناداً إلى المرجعية القياسية لقواعد اللغة العربية، وخلص في نهاية حديثه إلى الصيغة الصحيحة لغوياً للمصطلح، بلفظة البنوية، ودعا إلى عدم التحجج بمقولة «إن الخطأ إذا شاع أمسى استعماله حجة» لأنه يعتبر خطأ، والخطأ يبقى خطأ حتى ولو شاع، ويجدر بنا تصحيحه[2].

يقول عبد الملك مرتاض «شاع في الاصطلاح النقدي المعاصر استعمال مصطلح (بنيوي)، وهو مرفوض نحوياً كما نص على ذلك سيبويه في باب الإضافة، ومن أجل ذلك اقترحنا مصطلح (البنوية)،

1 – عبد الملك مرتاض، صناعة المصطلح في العربية، مجلة (اللغة العربية)، فصلية يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، عدد:2، سنة:9991، ص:21.

2 – ينظر: عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، سنة:0002م، ص:191.

(البنـوي)، حتـى لا نلحـن، ومـن أراد أن يكـسر العربيـة فشـأنه ومـا أراد، لكـن لا يحـق لـه أن يفـرض علينـا الخطـأ»[3]. هكـذا يرفـض مرتـاض مصطلـح البنيويـة ويخطـئ مسـتعمليه، كـما أنـه يرفـض مصطلـح «البنائيـة» الـذي اقترحـه زميلـه «صـلاح فضـل» فيقـول «البنائيـة وهـو تحريـف للجانـب المعـرفي حيـث إن الأمـر هنـا لا ينـصرف إلى البنـاء، وإنمـا ينـصرف إلى البنيـة»[4]

1- مصطلح السمة: signe

السـمة مـن المصطلحـات النقديـة التـي اسـترفدها عبـد الملـك مرتـاض مـن الدراسـات الغربيـة، كـما يـأتي هـذا المصطلـح في طليعـة المصطلحـات السـيميائية النقديـة التـي عنـي بهـا مرتـاض، بعدمـا شـهد هـذا المصطلـح عـراكاً وتجاذبـاً في الاسـتعمال والترجمـة فهـو «الدليـل في مجمـل الكتابـات المغربيـة، وهـو الإشـارة عنـد ميشـال زكريـا وصـلاح فضـل، وهـو الرمـز (...) في معجـم مصطلحـات علـم اللغـة الحديـث، وهـو الرمـز اللغـوي عنـد جوزيـف شريـم، وهـو السـمة عنـد عبـد الملـك مرتـاض، وهـو العلامـة عنـد جمهـور الدارسـين السـيميائيين»[5]

إنّ مـا يهمنـا مـن ذلـك التعـدد هـو رؤيـة عبـد الملـك مرتـاض التـي اعتمـد فيهـا، لتأصيـل مـا ذهـب إليـه مـن مصطلـح، عـلى البعديـن الـتراثي والحـداثي، حـين اعتـبر السـمة مركـزاً في أي علامـة سـيميائية نعنيهـا، وذلـك لأن العـرب القدامـى قـد فصلـوا في ذلـك لمـا تعاملـوا منـذ القـدم بالإشـارة إلى أشـيائهم. وهـو مـا يدعـو إلى وقـوع السـمة

3 – عبد الملك مرتاض، التحليل السيمائي للخطاب الشعري، دار الكتاب العربي، الجزائر، سنة:1002، ص:80.

4 –عبد الملك مرتاض، قراءة النص، كتاب الرياض، الرياض، سنة:7991، ص:03.

5 – يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الطبعة الأولى، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، سنة:8002، ص:342.

موقع الترادف مع مصطلح «العلامة **marque**» وليس هو العلامة، حيث أنّ «العلامة تنصرفّ إلى معنى قريب من مادة (وسم)، دون أن يكوّنه في الاستعمال العربي، ولعله أن يكون آتيا من العلامة والعلم بمعنى الحمل، ومنه أخذوا علامة لثوب لدى القصار حتى تتميز الأثواب بعضها عن بعض»[6]، هكذا يُقرّ عبد الملك مرتاض بتقارب المصطلحين (سمة، علامة) من دون أن يجعل منهما لفظين متطابقين.

كما أنه يستفيض في تتبع هذا المصطلح بما يجعل «مفهوم السمة معادلاً في كثير من الوجوه للقرينة «**indice**»[7]، ولمّا كانت السمة في نظر مرتاض ممّا يُدرَك بصفة مباشرة، فإنها تتماهى مع مصطلح القرينة الذي يقابل مصطلحي[8] المؤشر والعَلَمية، وقد يعني الأول منهما الحادث الملموس الذي يتيح لنا معرفة شيء عن حادث آخر خفي على حسب تعريف **Preito**، فيما يرمي الثاني إلى العلامة أو الدليل الذي يدل على شيء ما، هكذا يمكن القول بأن عبد الملك مرتاض قد بنى حقلاً معرفياً للمصطلحات عدة أوقفها على التشابه والاختلاف، وهي (سمة، قرينة، مؤشر، عَلَمية) فجعلها متشابهه من حيث المفهوم، متباينة أداءً ووظيفةً، في حين أنه أقصى مصطلح الدليل من هذا التقابل واعتبره غير مقابل للسمة.

لنخلص في لجة هذا «الزخم» الاصطلاحي إلى تميز عبد الملك مرتاض بوعيه وحنكته البحثية الرزينة القابضة على طرفي التأصيل الاصطلاحي والاسترفاد المفهومي الواقع بين التراث العربي والحداثة

6 – عبد الملك مرتاض، بين السمة والسيميائية، مجلة تجليات الحداثة، جامعة وهران، عدد:2، يونيو، سنة:3991، ص:90.

7 – المرجع نفسه: ص:11.

8 – عبد الملك مرتاض، شعرية القصيدة . قصيدة القراءة . تحليل مركب لقصيدة أشجان يمانية، دار المنتخب العربي، لبنان، طبعة:1، سنة:1991م، ص:632.

الغربيـة، وذلـك لمـا قابـل مصطلـح «**Signe**» بـــــ «السـمة» وردّ باقـي المصطلحـات والمقابـلات كالدليـل والعلامـة، حتـى وإن بـدت قريبـة منـه، وهـو في مذهبـه ذلـك يرتكـز عـلى جملـة مـن الأسـباب[9]:

- التباس (الدليل)، في لغة العامة، بمعنى البرهان.

- اقتصـار (العلامـة) عـلى المعـالم الماديـة المرئية والمجسـمة، مقابـل اقتـدار (السـمة) عـلى معالجـة دلالات الألفاظ والإشـارات والأصـوات والحـركات والألـوان والمظاهـر الطبيعيـة.

- ابتذال النحاة لمصطلح (العلامة).

- الاقـتراب الصـوتي للسـمة مـن (**Signe**)، وانسـجامها مـع (السـيمائية) .

ـ اصطنـاع (السـمة) مـن قبـل عبـد القاهـر الجرجـاني، حتـى وإن كان هـذا الأخـير قـد سـوّى بينهـا وبـين العلامـة في قولـه «اللغـة تجـري مجـرى العلامـات والسـمات، ولا معنـى للعلامـة والسـمة حتـى يحتمـل الـشيء مـا جُعلـت العلامـة دليـلاً عليـه وخلافَـه»[10].

ـ أولية مصطلح (**Marque**) بالعلامة.

وعـلى قـوة هـذه الحجـج، وانتهائهـا ـــ بالخصـوص ـــ إلى حل مشـكلة المصطلـح الأخـير (**Marque**) في سـياقه العلمـي (السـيميائي) والتجـاري (علامـة مسـجلة: **Marque déposée**) فإنهـا تصطـدم بالمعيـار التـداولي

9 – ينظر: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص: 342،442.
10 – عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، علق على حواشيه، السيد محمد رشيد رضا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة:8891م، ص:523.

الـذي أشـاع مصطلـح (العلامـة) مقابـلاً لـــ(**Signe**)، و(علـم العلامـات) مقابـلاً لـــ (**science des signes**) عنـد عامـة الدارسـين.

2- الأيقونة:

وإنْ وُظِّـف هـذا المصطلـح في كثير من الدراسـات السـيميائية بالصيغة ذاتهـا أي بعـد تعريبـه وهـو مـا ذهـب إليـه محمـد عنـاني حـين اعتـبر أن «مصطلـح الأيقونـة المعـرّب مقبـول مـن زمـن طويـل في العربيـة، ولا داعـي لإيجـاد ترجمـة لـه»[11] إلا أننـا نلغـي كثـيراً مـن الاختلافـات التـي دارت حـول ترجمـة هـذا المصطلـح[12] ومنهـا «التصويـر الشـعري لـدى مجـدي وهبـة وكامـل المهنـدس و»الرمـز المعـبِّر» لـدى مبـارك مبـارك و»الأيقـون» لـدى محمـد الماكـري، و»المثـل» لـدى عبـد اللـه الغذامـي، والمثيلـة لـدى بسـام بركـة وفي المعجـم الموحـد لمصطلحـات اللسـانيات قـد اسـتعمل تحـت اسـم «الأمثولـة».

أمـا عبـد الملـك مرتـاض فقـد قابلـه بـــ «المماثـل»؛ لأنـه يـرى فيـه ـ مصطلـح الأيقونـة ـ أنـه «مصطلـح دينـي مسـيحي أصـلاً، ثـم نقـل إلى هـذا المعنـى السـيميائي الـذي يعنـي في أبسـط مـا يعنـي العلاقـة التشـبيهية مـع العـالم الخارجـي»[13]، في حـين كان يريـد بالمماثـل أن يجعـل مـن الأيقونـة انعـكاس شيء في شيء آخـر يماثلـه، ومـا كان تفـرد عبـد الملـك مرتـاض بمثـل هـذا المنحـى في ترجمـة الأيقونـة بالمماثـل إلا «اسـتثناء نقديـاً عربيـاً في هـذا البـاب، حيـث لم نجـد مـن معاصريـه مـن أفـاض في الحديـث عـن هـذه الفرعيـات بالشـكل الـذي قـام بـه كـماً وكيفـاً، تنظـيراً وتطبيقـاً»[14].

11 – محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، سنة: 6991م، ص: 551.

12 – ينظر، يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص:642.

13 – عبد الملك مرتاض، شعرية القصيدة، قصيدة القراءة ص :332.

14 – المرجع نفسه، ص:842.

وذلك لأنه رفض تعريب هذا المصطلح على عكس ما ادعاه محمد عناني، فهو يرى أن صواب رأيه بترجمة الأيقونة بالماثل قائم «على أساس أن «الماثل» في اللغة السيميائية يعني صورة حاضرة تماثل صورة غائبة، سواء كانت ذهنية أو حسية، وقد قلنا «الماثل» ولم نقل «المشابه» لأنهما معنيان مختلفان، ذلك بأنّ المشابهة لا ينبغي لها أن تعني الماثلة»[15]، فهو إذاً يلح على التفريق بين الشبيه الذي يعني المساوي وبين الماثل، ولعله التفرد في عرف السيميائين الذين لم يتنبهوا إلى مثل هذا الاختلاف الدقيق الذي لا يعيه إلا باحث محترف.

اعتمد مرتاض على التراث العربي في تخريج هذا الفارق بين الشبيه/ المساوي من جهة والماثل من جهة أخرى، فقد جاء في لسان العرب مادة (مثل) أن «الفرق بين الماثلة والمساواة، أنّ المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين؛ لأنّ التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص، وأما الماثلة فلا تكون إلا في المتفقين، نقول: نحوه كنحوه وفقهه كفقهه ولونه كلونه وطعمه كطعمه، فإذا قيل: هو مثله على الإطلاق فمعناه أنه يسدّ مسدّه، وإذا قيل: هو مثله في كذا فهو مساوٍ له في جهة دون جهة»[16] وعلى هذه الخلفية المعجمية للمماثلة فإن عبد الملك مرتاض يُفرِّع المماثلة/ الأيقونة إلى موعين إحداهما تامة والأخرى ناقصة، فأما التامة هي التي تماثل فيها الشيئان تماثلاً تاماً، في حين تؤول الناقصة إلى تماثل شبه تام[17]. هكذا يركز مرتاض على التماثل الذي يفضي إلى التماس

15 – عبد الملك مرتاض، السبع المعلقات، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سنة: 8991م، ص:192.

16 – ابن منظور، لسان العرب، مادة (مثل).

17 – ينظر: عبد الملك مرتاض، التحليل السيمائي للخطاب الشعري، تحليل مستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الجلبي، ص: 43.

التلاؤم بصورة طبق الأصل أو على الأقل في جانب ما بين السمة والعالم الخارجي.

3- التشاكل: Isotopie

التشاكل مفهوم من المفاهيم السيميائية التي ولجت الخطاب النقدي المعاصر عن طريق غريماس الذي استقاه من حقول الفيزياء والكيمياء والذي يعني في عمومه التساوي، غير أننا ـ وكما جرت العادة ـ نجد ذلك الاختلاف عند النقاد العرب في نقل هذا المصطلح إلى اللغة العربية حتى وإن دارت جل المفاهيم الداخلة إلى العربية حول التشاكل والمشاكلة[18]. فقد عنى بالتناظر، والايزوطوبيا، والقطب الدلالي، والاطراد، والتناظر الدلالي، والتكرار أو المعاودة لفئات دلالية أو تكرار الوحدات الدلالية، ومحور التواتر، وغيرها من المقابلات.

وقد لامس عبد الملك مرتاض هذا الاضطراب والاختلاف حول هذا المصطلح وكعادته انبرى للتفرد في معالجته له انطلاقاً من قوله أنّ «هذا المفهوم لا يبرح مرجاً مضطرباً، وهو في تصورنا مفتقر ـ بحكم حداثة نشأته ـ إلى بلورة وصقل وتدقيق. ولعل من أجل ذلك اجتهدنا نحن في التصرف فيه، فذهبنا إلى أقصى ما يمكن الذهاب إليه لدى التطبيق»[19].

هكذا يبعث عبد الملك مرتاض الروح في مصطلح التشاكل بما يفضي إلى التباين والتجانس والتشابه، وهو يلح على مفهومه (التشاكل) الذي يؤدي وظيفة «كل ما استوى من المقومات الظاهرة المعنى

18 – ينظر: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص: 562.

19 – عبد الملك مرتاض، نظام الخطاب القرآني . تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن، دار هومة، الجزائر، سنة: 1002م، ص:851.

والباطنة المتمثلة في التعبير والصياغة، وهي متمثلة في المضمون، تأتي متشابهة مورفولوجيا أو نحوياً أو إيقاعياً أو تراكيبياً، عبر شبكة من الاستدلالات والتباينات وذلك بفضل علاقة سياقية تحدّد معنى الكلام»[20]. ولعله الأمر الذي دعاه إلى اختلاق مصطلح يجمع هذه المواصفات الكلية. وهو ما سماه بـــــ «الدورة التوزيعية»[21].

4- الشعرية:

تجنباً في بداية الحديث عن هذا المصطلح للاختلاف حول مفهومه الغربي[22] وترجماته العربية نكتفي بما وضع من مصطلحات مقابلة له، قد عَدَّ بعضاً منها حسن ناظم وهي: الشاعرية، والإنشائية، وبويطيقا، وبويتيك، ونظرية الشعر، وفن الشعر، وفن النظم، والفن الإبداعي، وعلم الأدب، والشعرية»[23].

كما نلمس عدم ممانعة الغذامي من إضافة مصطلح آخر مقابل للشعرية من خلال قوله في ترجيح «أن نضيف إليها بالطبع ترجمة أخرى هي «علم الشعر» التي وردت في أكثر من موضوع في كتابات جابر عصفور»[24].

في حين ترجمها عيسى علي العاكوب بـــــ «الدراسة اللغوية للشعر»[25].

20 – عبد الملك مرتاض، التحليل السيميائي للخطاب الشعري، مجلة علامات، النادي الأدبي، جدة، سنة: 1991م، ص:61.

21 – عبد الملك مرتاض، نظرية القراءة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، سنة:3002م، ص:333.

22 – ينظر: زروقي عبد القادر، أدبية النص عند ابن رشيق المسيلي، في ضوء النقد الأدبي، الحديث، الطبعة الأولى، دار كوكب العلوم، الجزائر، سنة:8002، صص:93-54.

23 –ينظر: حسن ناظم، مفاهيم الشعرية، دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، سنة: 4991م، صص: 41-61.

24 – عبد العزيز حمودة: المرايا المقعرة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، أوت، سنة: 1002م، ص: 651.

25 – ك- م. نيوتن، نظرية الأدب في القرن العشرين ترجمة: عيسى علي العاكوب، طبعة:1، عين للدراسات

وعـلى خلفيـة هـذا التجـاذب الاصطلاحـي مفهومـاً وتسـمية، يـأتي اجتهـاد عبـد الملـك مرتـاض الـذي يفـرق بـين «الشـعرية **Poéticité**» و«الشـعرانية **Poétique**» ويعلّـق الأولى بجماليـة الشـعر، في حـين تنـصرف الثانيـة عنـده إلى نظريـة الشـعر[26]. وقـد جـاء ذلـك صريحـاً في قولـه «نحـن نميـز بـين مفهومـين مختلفـين في الاسـتعمال، وربمـا يخطـئ النقـاد العـرب المعـاصرون، إذ يصطنعونهـما بمعنـى واحـد:

- (**Poétique**) الذي نترجمه تحت مصطلح «الشعرانية».
- (**Poéticité**) الذي نترجمه تحت مصطلح «الشعرية».

حيـث إن الأول ينـصرف إلى النظـام الشـعري لشـاعر أو كاتـب، لعهـد معـين، ولبلـد معـين. وقـل إن هـذا المفهـوم ينـصرف، كـما هـو معـروف، إلى نظريـة الإبـداع الأدبي (...) بينـما ينـصرف المفهـوم الآخـر إلى الصفـة أو الحالـة التـي تميـز كتابـة مـا»[27]. وإنـه لمعنـى يقـترب مـن معنـى الأدبيـة: «**litteralite**»[28]، في فهـم عبـد الملـك مرتـاض.

5- المناجاة: le monologue interieur

يقول عبد الملك مرتاض:[29]

«مـا المناجـاة؟ ولمَ أطلقنـا هـذا المصطلـح العـربي القـح على ما يشـيع في الكتابـات النقديـة العربيـة المعـاصرة تحـت مصطلـح «المونولـوج الداخلي» وهـو مصطلـح هجـين دخيـل جِـيءَ بـه مـن قـول الفرنسـيين عـلى يـد أديبهـم الشـهير «إدواردي جـردان» (**Edouard dujardin 1861-1949**)

والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، سنة:6991م، ص:421.

26 – ينظر: يوسف وغليسي، إشكالية «المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد»، ص:992.

27 – عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، سنة:8991، ص:213.

28 – المرجع نفسه، ص: 862/762.

29 – عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص: 811.

لقد كنا نحن نصطنع، أول الأمر، مصطلح «المناجاة الذاتية»، ولكن تبين لنا، فيما بعد، أنه وصف غير سليم؛ ولم نتطفن إلى الحشو الذي فيه إلا بعد أن تقدمت بنا المعرفة؛ إذ كانت المناجاة هي نفسها تدور داخل الذات حيث إن المناجاة، وربما قيل «النُجَواء»: تعني في اللغة العربية «حديث النفس ونجواها»[30].

وإذاً فلم يكن يوجد أي مبرر لاستعمال الوصف للمناجاة، كما لم يكن يوجد أي مبرر لاستعمال المصطلح الفرنسي بحرفه في الكتابات النقدية العربية المعاصرة، والعربية تملأ الأرض من مثل هذه المعاني.

ونحن نعرف المناجاة ولم نقرأ لها تعريفاً فيما قرأنا على كل حال على أنها «خطابٌ مضمّن داخل خطاب آخر يتسم حتما بالسردية؛ الأول جواني، والثاني براني، ولكنهما يندمجان معاً اندماجاً تاماً (...) لإضافة بُعْد حداثي، أو سردي، أو نفسي إلى الخطاب الروائي»[31].

إذاً «المناجاة: حديث النفس للنفس، واعتراف الذات للذات، لغة حميمة تندس ضمن اللغة العامة المشتركة بين السارد والشخصيات، وتمثل الحميمية والصدق والاعتراف والبَوْح»[32].

6- الحيز: Espace

يعترف عبد الملك مرتاض في كتابه «في نظرية الرواية»[33] معركته الطويلة مع هذا المصطلح الذي نحته من صخر متجاوزاً بذلك ما تداولته المدونات النقدية العربية المعاصرة تحت اسم «الفضاء»،

30 – الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (نجو).

31 – عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي. معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية (زقاق المدق)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة: 5991م، ص: 112.

32 – عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص: 021.

33 – ينظر، المرجع نفسه، ص: 121.

وذلك لأنه يرى أن هذا المصطلح الأخير ـ الفضاء ـ «قاصر بالقياس إلى الحيز؛ لأن الفضاء من الضرورة أن- يكون معناه جارياً في الخواء والفراغ؛ بينما الحيز لدينا ينصرف استعمالُه إلى النتوء، والوزن، والثقل، والحجم، والشكل... على حين أن المكان نريد أن نَقِفَه، في العمل الروائي، على مفهوم الحيز الجغرافي وحده»[34].

هكذا يجعل مرتاض من الحيز «عنصراً مركزياً في تشكيل العمل الروائي حيث يمكن ربطُه بالشخصية واللغة والحدث ربطاً عضوياَ»[35].

7- سيميوسيس: (Sémiosis)

فبعد الاختلاف الواقع بين النقاد العرب حول تعريب وترجمة المصطلح من «سيميوسيس»، و«سيميوزيس» و«كل ما هو سيميائي» و«وظيفة سيميائية» و«عملية التمثيل أو الرمز» و«علم الإشارة» و«التأشير»[36] نرى جرأة عبد الملك مرتاض في وضعه ما يقابل هذا المصطلح بما هو مغاير لكل ذلك حين يقترح «المُواسم»[37]، و«التواسم» الذي يجعل منه «شبكة العلاقات الرابطة بين السمة بوصفها مظهراً، والسيميائيات بوصفها إجراء»[38]، كما كتب عن المصطلح في موضع آخر حين قال: «لقد دأب النقاد العرب المعاصرون على إطلاق مصطلح «السميوزة» (وربما كتبوه: السيميوزة، فجمعوا بين ساكنين اثنين) على ما يطلق عليه السيميائيون الغربيون (**Sémiosis**).

34 – ينظر، عبد الملك مرتاض، شعرية القصيدة، قصيدة القراءة، ص: 511/311

35 – ينظر، عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص: 521.

36 – ينظر: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص:252/152.

37 – عبد الملك مرتاض، النص والنص الغائب في شعر سعاد الصباح، شركة النور، بيروت، سنة: 9991م، ص:71.

38 – عبد الملك مرتاض، قراءة النص بين محدودية الاستعمال ولا نهائية التأويل–تحليل سيميائياتي لقصيدة قمر شيراز– كتاب الرياض، عدد: 74/64، مؤسسة اليمامة، الرياض، أكتوبر/ نوفمبر، سنة: 7991، ص:22.

ولعلنا نكون نحن أو من عرّب هذا المصطلح بناء على الخلفية المعرفية الأصلية في الثقافة الغربية، إذ تعني (**la sémiosis**) شبكة العلاقات الرابطة بين ثلاثة أطراف: السمة، وموضوعها، ومؤولها (...) وقد اقترحنا (المُوَاسِم) على أساس أنه مفهوم قادر على المشاركة، بل البلورة والربط بين هذه الأطراف الثلاثة التي تكون هذا النظام السيمائي»[39].

ونقول أخيرا كثيرة هي المصطلحات التي انفرد فيها عبد الملك مرتاض وضعاً وحدّاً، ومن قبيل ذلك الشخصية، المهذاة، التقويضية، لكن «لا يستقيم فهمنا لهذا الصنيع الجريء ـ بطبيعة الحال ـ إلا موصولاً بإستراتيجية مرتاض النقدية الشاملة التي تقوم على روح ـ اللامنهج ـ»[40]، إذا هو الحس التأصيلي والجرأة العلمية في وضع المصطلح لدى عبد الملك مرتاض، حتى وإن خالف في ذلك الأغلبية من النقاد أو الشيوع المفرط للمصطلح الذي يربد أن ينقضه. فهو يحيط بالمصطلح المقدَّم من قِبله تعريفاً واشتقاقاً بما يكفل استحضار كل العناصر الفكرية والمعرفية واللغوية أثناء تداول هذا المصطلح. ومن هنا كان «عبد الملك مرتاض صاحب السبق في نقل النظريات اللسانية الجديدة، وفي استيراد المفاهيم والمصطلحات إلى سوق النقد الجزائرية (...) وهي حصيلة غنية توفر عليها الباحث لا تزال بصماتها جلية في ميادين كتاباته النقدية بكل ما فيها من أبعاد ودلالات»[41] .

39 – عبد الملك مرتاض، التأويلية بين المقدس والمدنس، عالم الفكر، الكويت، مجلد 92، عدد:10، يوليو/ سبتمبر 0002، ص:182.

40 – يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص: 942.

41 – مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، دراسة وضعية نقدية إحصائية في نموذجي عبد الملك مرتاض ومحمد مفتاح، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، سنة:5002م، ص:11.

هكـذا تتجـاذب الذائقتـان (ذائقـة التنظـير، وذائقـة النقـد) في تآليـف عبـد الملـك مرتـاض فهـو لا يجنـح إلى وضـع المصطلح إلا في حالة الممارسـة النقديـة باعتبارهـا الحقـل الـذي يحوجـه إلى الوسـيلة الاصطلاحيـة التـي تهيـئ لـه الكشـف في مخبـوء النـص المنقـود، فتحليـل النصـوص عنـده أسـبق مـن الوضـع الاصطلاحـي، وهـذا مـا يـبرر لنـا الاعتقـاد أن كثـيراً مـن المصطلحـات المرتاضيـة أوسـع أفقـاً وأكـثر اتسـاعاً مـن غيرهـا؛ لأنهـا تصـدر عـن ممارسـة تـرى في مـا تضعـه التعبـير الصائـب عـن المفاهيـم التـي تعـبر عنهـا النصـوص.

مصادر البحث ومراجعه:

ـ ابن منظور، لسان العرب، مادة (مثل).

ـ حسـن ناظـم، مفاهيـم الشـعرية، دراسـة مقارنـة في الأصـول والمنهـج والمفاهيـم، الطبعـة الأولى، المركـز الثقـافي العـربي، سـنة: 1994م .

ـ زروقـي عبـد القـادر، أدبيـة النـص عنـد ابـن رشـيق المسـيلي، في ضـوء النقـد الأدبي، الحديـث، الطبعـة الأولى، دار كوكـب العلـوم، الجزائـر، سـنة:2008

ـ الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (نجو).

ـ عبـد العزيـز حمـودة: المرايـا المقعـرة، سلسـلة عـالم المعرفـة، الكويـت، أوت، سـنة: 2001م

ـ عبـد القاهـر الجرجـاني، أسرار البلاغـة، علـق عـلى حواشـيه، السـيد محمـد رشـيد رضـا، الطبعـة الأولى، دار الكتـب العلميـة،

بـيروت، سـنة:1988م.6 ـ عبـد الملـك مرتـاض: في نظريـة الروايـة، سلسـلة عـالم المعرفـة، الكويـت، سـنة:1998.

ـ عبـد الملـك مرتـاض، التأويليـة بـين المقـدس والمدنـس، عـالم الفكـر، الكويـت، مجلـد 29، عـدد:01، يوليـو/ سـبتمبر 2000

ـ عبـد الملـك مرتـاض، التحليـل السـيميائي للخطـاب الشـعري، تحليـل مسـتوياتي لقصيـدة شناشـيل ابنـة الجلبـي.

ـ عبـد الملـك مرتـاض، التحليـل السـيميائي للخطـاب الشـعري، دار الكتـاب العـربي، الجزائـر، سـنة:2001

ـ عبـد الملـك مرتـاض، التحليـل السـيميائي للخطـاب الشـعري، مجلـة علامـات، النـادي الأدبي، جـدة، سـنة: 1991م.

ـ عبـد الملـك مرتـاض، السـبع المعلقـات، إتحـاد الكتـاب العـرب، دمشـق، سـنة: 1998م.

ـ عبـد الملـك مرتـاض، النـص والنـص الغائـب في شـعر سـعاد الصبـاح، شركـة النـور، بـيروت، سـنة: 1999م.

ـ عبـد الملـك مرتـاض، بـين السـمة والسـيميائية، مجلـة تجليـات الحداثـة، جامعـة وهـران، عـدد:2، يونيـو، سـنة:1993.

ـ عبـد الملـك مرتـاض، تحليـل الخطـاب الـسردي ـ معالجـة تفكيكيـة سـيميائية مركبـة لروايـة (زقاق المـدق)، ديـوان المطبوعات الجامعيـة، الجزائـر، سـنة: 1995م

ـ عبـد الملـك مرتـاض، شـعرية القصيـدة ـ قصيـدة القـراءة ـ تحليـل مركـب لقصيـدة أشـجان يمانيـة، دار المنتخـب العـربي، لبنـان، طبعـة:1، سـنة:1991م.

ـ عبد الملك مرتاض، صناعة المصطلح في العربية، مجلة (اللغة العربية)، فصلية يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، عدد:2، سنة:1999

ـ عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، سنة:2000م

ـ عبد الملك مرتاض، قراءة النص بين محدودية الاستعمال ولا نهائية التأويل-تحليل سيميائياتي لقصيدة قمر شيراز- كتاب الرياض، عدد: 46/47، مؤسسة اليمامة، الرياض، أكتوبر/ نوفمبر، سنة: 1997

ـ عبد الملك مرتاض، قراءة النص، كتاب الرياض، الرياض، سنة:1997

ـ عبد الملك مرتاض، نظام الخطاب القرآني ـ تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن، دار هومة، الجزائر، سنة: 2001م.

ـ عبد الملك مرتاض، نظرية القراءة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، سنة:2003م.

ـ ك- م. نيوتن، نظرية الأدب في القرن العشرين ترجمة: عيسى علي العاكوب، طبعة:1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، سنة:1996م،

ـ محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، سنة: 1996م.

ـ مـولاي عـلي بوخاتـم، الـدرس السـيميائي المغـاربي، دراسـة وضعيـة نقديـة إحصائيـة في نموذجـي عبـد الملـك مرتـاض ومحمـد مفتـاح، ديـوان المطبوعـات الجامعيـة الجزائـر، سـنة:2005م

ـ يوسـف وغليـسي، إشـكالية المصطلـح في الخطـاب النقـدي العـربي الجديـد، الطبعـة الأولى، منشـورات الاختـلاف، الـدار العربيـة للعلـوم نـاشرون، لبنـان، سـنة:2008